يقول الله تبارك وتعالى: ((**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**)) ((**الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ** .)) الخ .البسملة آية من كتاب الله، يؤتى بها في ابتداء كل سورة، ولا تحسب من آيات السورة، لا في الفاتحة ولا في غيرها، على القول الراجح من أقوال العلماء، وأول آية في الفاتحة هي قوله تعالى: ((**الحمد لله رب العالمين**))، والثانية: ((**الرحمن الرحيم**))، والثالثة: ((**مالك يوم الدين**))، والرابعة: ((**إياك نعبد وإياك نستعين**))، والخامسة: ((**اهدنا الصراط المستقيم**))، والسادسة: ((**صراط الذين أنعمت عليهم**))، والسابعة: ((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**))، إلا أنه لم يؤت بها في أول سورة براءة نظراً لأن ذلك لم يثبت عند الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأشكل عليهم الأمر هل هي بقية سورة الأنفال أم هي سورة مستقلة؟ فلهذا وضعوا فاصلاً دون البسملة. يقول الله تعالى هنا **:((القارعة. ما القارعة**)): والقارعة اسم فاعل من قرع، والمراد: التي تقرع القلوب وتفزعها وذلك عند النفخ في الصور، كما قال تعالى: ((ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين)). فهي تقرع القلوب بعد قرع الأسماع، وهذه القارعة هي قارعة عظيمة لا نظير لها قبل ذلك، وهي من أسماء يوم القيامة، كما تسمى الغاشية، والحاقة، وقوله: ((**ما القارعة**)): ((**ما**)) هنا استفهام بمعنى التعظيم والتفخيم يعني: ما هي القارعة التي ينوه عنها؟ ((**وما أدراك ما القارعة**)) : هذا زيادة في التفخيم والتعظيم والتهويل، يعني أي شيء أعلمك عن هذه القارعة؟ أي ما أعظمها وما أشدها، ثم بين متى تكون؟ فقال جل وعلا: ((**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**)) أي: أنها تكون في ذلك الوقت، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث حين يخرجون من قبورهم، قال العلماء: يكونون كالفراش المبثوث، والفراش كما تعرفون هو هذه الطيور الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل وهي ضعيفة وتكاد تمشي بدون هدى، وتتراكم وربما لطيشها تقع في النار وهي لا تدري، فهم يشبهون الفراش في ضعفه وحيرته وتراكمه وسيره إلى غير هدى. و((**المبثوث**)) يعني المنتشر، فهو كقوله تعالى: ((**يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**)).

لو تصورت هذا المشهد يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه لتصورت أمراً عظيماً لا نظير له، هؤلاء العالم من آدم إلى أن تقوم الساعة كلهم يخرجون خروج رجل واحد في آن واحد من هذه القبور المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن غير القبور كالذي ألقي في لجة البحر، وأكلته الحيتان، أو في فلوات الأرض، وأكلته السباع، أو ما أشبه ذلك، كلهم سيخرجون مرة واحدة، يصولون ويجولون في هذه الأرض. أما الجبال وهي تلك الجبال العظيمة الراسية الصلبة فتكون ((**كالعهن المنفوش**)) ((**العهن**)): الصوف. و ((**المنفوش**)) المبعثر، أو إن العهن هو القطن، والمعنى واحد، المهم أنها بعد أن كانت صلبة قوية راسخة تكون مثل العهن المنفوش، الصوف، أو القطن كما قلنا المبعثر ــ سواء نفشته بيدك أو بالمنداف فإنه يكون خفيفاً يتطاير مع أدنى ريح، وقد قال الله تعالى في آيات أخرى أن الجبال تكون هباء منثوراً. وقال جل وعلا هنا: ((وتكون الجبال كالعهن المنفوش)). ((**فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية. وما أدراك ما هي. نار حامية**)). قسم الله تعالى الناس إلى قسمين: **القسم الأول**: من ثقلت موازينه وهو الذي رجحت حسناته على سيئاته. **والثاني**: من خفت موازينه وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته، أو الذي ليس له حسنة أصلاً كالكافر، يقول تعالى: ((**فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية**)): العيشة مأخوذة من العيش وهو الحياة، يقال: عاش الرجل زمناً طويلاً، أي: بقي وحيي زمناً طويلاً، والعيشة هنا على وزن فعلة فهي هيئة وليست مصدراً، المصدر الدال على الوحدة أن تقول عيشة، وأما إذا قلت عِيْشَة فهي فعلة تدل على الهيئة، كما قال ابن مالك رحمه الله: وفعلة لمرة كجَلسةٍ *** وفعلة لهيئة كجِلسةً، المعنى: أنه في حياة طيبة، حياة طيبة راضية. ((**راضية**)) قيل: إنها اسم فاعل بمعنى اسم المفعول، أي: مرضية. وقيل: إنها اسم فاعل من باب النسبة أي ذات رضى، وكلا المعنيين واحد، والمعنى: أنها عيشة طيبة ليس فيها نكد، وليس فيها صخب، وليس فيها نصب، كاملة من كل وجه، وهذا يعني العيش في الجنة جعلنا الله وإياكم منهم، هذا العيش لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين، لا يحزنون، ولا يخافون، في أنعم عيش، وأطيب

بال، وأسر حال فهي عيشة راضية. **((وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية))**: ومن خفت موازينه قلنا أنه الكافر الـذي ليـس لـه أي حسنة، لأن حسنات الكافر يجازى بهـا فـي الـدنيا ولا تنفعـه فـي الآخرة، أو أنه مسـلم لكنـه مسـرف علـى نفسـه وسـيئاته أكـثر. ((**فأمه هاوية**)) أم هنا بمعنى مقصوده، أي: الـذي يقصـده الهاويـة، والهاوية من أسماء النار،يعني أنه مآله إلى نار جهنم ـ والعيـاذ بـالله ـ. وقيل: إن المراد بالأم هنا: أم الدماغ، والمعنى: أنه يلقى في النار على أم رأسه. نسأل الله السلامة، وإذا كانت الآية تحتمل معنييـن لا يترجح أحدهما على الآخر ولا يتنافيـان فـإنه يؤخـذ بـالمعنيين جميعـاً فيقال: يرمى فـي النـار علـى أم رأسـه، وأيضـاً ليـس لـه مـأوى ولا مقصد إلا النار. ((**وما أدراك ما هيـه**)) هـذا مـن بـاب التفخيـم والتعظيم لهذه الهاوية، يسأل ما هي؟ أتـدري مـا هـي؟ إنهـا لشـيء عظيم، إنها نار حامية في غاية ما يكون من الحمو، وقـد قـال النـبي عليه الصلاة والسلام: (إنها فضلت علـى نـار الـدنيا بتسـعة وسـتين جزءاً). إذا تأملت نار الـدنيا كلهـا سـواء نـار الحطـب، أو الـورق، أو الغاز أو أشد من ذلك فإن نـار جهنـم مفضـلة عليهـا بتسـعة وسـتين جزءاً نسأل الله العافية، في هذه الآية التخويف والتحـذير مـن هـذا اليوم وأن الناس لا يخرجون عن حالين: إما رجل رجحت حسناته، أو رجل رجحت سـيئاته. وفيهـا أيضـاً دليـل علـى أن يـوم القيامـة فيـه موازين، وقد جاء في بعض النصـوص أنـه ميـزان فهـل هـو واحـد أو متعدد؟ قال بعض أهل العلم: إنه واحد وإنما جمع باعتبـار المـوزون، لأنه يوزن فيه الحسنات والسيئات، وتوزن فيه حسـنات فلان وفلان، وتوزن فيه حسنات هذه الأمة والأمة الأخـرى، فهـو مجمـوع باعتبـار الموزون لا باعتبار الميزان، وإلا فـالميزان واحـد. وقـال بعـض أهـل العلم: إنها موازين متعددة، لكل أمة ميزان، ولكل عمل ميزان فلهذا جمعت. والأظهر ـ والله أعلم أنه ميزان واحـد ــ لكنـه جمـع باعتبـار الموزون على حسب الأعمال، أو على حسب الأمم، أو على حسـب الأفراد. وفي هذه الآية دليل علـى أن الإنسـان إذا تسـاوت حسـناته وسيئاته فإنه قد سكت عنه في هذه الآية، ولكن بيّن الله تعالى فـي سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار وإنما يحبسون في مكـان يقـال له الأعراف، وذكر الله تعالى في سـورة الأعـراف مـا يجـري بينهـم وبين المؤمنين، وأنهم إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النـار قـالوا

ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. نسأل الله تعـالى أن يجعلنـا ممـن رجحت حسناته على سيئاته، وأن يغفر لنا ولكم.